على هامش العروبة والمذاهب المعاصرة

التطوّر الاجتماعي

بقلم علي بدوي

هناك وهم كبير يحيط بمشكلة تطورنا الاجتماعي، ويتجلى هذا الوهم اكثر ما يتجلى في اننا امة لا تتطور . غير اننا في الحقيقة نتطور ، وبسرعة ، ولكن العلة ليست في تطورنا او عدمه ، بل في كيفية هذا التطور ومداه . وقبل ان نجيب على هذا السؤال نود ان نستعرض بشيء من التفصيل والتحليل ، تطور المجتمع العربي حتى عام ١٩٥٢ ، موعد الثورة العربية في ارض الكنانة .

***

يتأثر(١) تطور الامم بمجريات الحوادث حولها . ويكون لمقدرتها الذاتية على السير في ركب الحضارة اثر لا يغفل . وكذلك فان لوضعها السياسي علاقة وشيجة بنوعية هذا التطور ، وبخاصة اذا كان تاريخها القومي نفسه قد شوه او استعيض عنه بامجاد جديدة . وكانت هذه الامة كأمتنا العربية التي غفت على حضارتنا ، ثم استفاقت على ريح حضارة جديدة ، ومفاهيم جديدة في الاجتماع والسياسة والحكم .

اين وقف تطور الامة العربية ؟

فلو تساءلنا الان عن المدى الذي وقفت عند حدوده امتنا العربية منذ التماع مجدها حتى انطفاء جذوة تحررها وسلطانها لكانت الاجوبة على سؤالنا هذا متعددة . اذ هي ـ الامة العربية ـ من حيث وجودها السياسي قد تفككت الى اقاليم من المحيط الى الخليج ، واضحى كل اقليم يكاد يكون وحدة خاصة به من جراء عزلته عن الاقاليم الاخرى. وبعد ان كان العالم العربي يتحدد في لفظين هما : المغرب والمشرق ، يذوب فيهما ملايين العرب ، وملايين الكيلومترات المربعة ، وسط ارض مترامية تدخل في ثلاث قارات اضحى عند بدء يقظته الاخيرة في اوائل القرن العشرين ، يسع نيفا وعشرين قطرا ، ويخضع لحكومات متباينة ، مختلفة، متنابذة ، تقتتل فيما بينها بدلا من اقتتالها مع الاجنبي العادي عليها . وفقدت ـ نتيجة للتجزئة السياسية ـ روح العدالة التي كان يقوم عليها مبرر الحكم ، واضحى الشعب في اكثريته يقاسي المرض والجهل والفقر، والخضوع الى حكومات ظالمة ، وكان من جراء تسلط الاستعمار التركي اكثر من اربعة قرون على الامة العربية ، ان جمد تقدمها الفكري ، فجمد عطاؤها الحضاري ، وتفككت شخصية العرب القومية الى اقاليم ودويلات وتسلطت عجمة القول والفكر والعمل على الحياة العربية . وبات للعروبة جسد قائم ، قد خلا من الروح والعقل ، حتى اضحى واقع المجتمع العربي ، سيئا الى درجة من الصعب التفكير معها بالخلاص من هذا الجمود الروحي والعقلي ، دون تعريض الواقع العربي الى هزة شديدة ، تخلصه مما علق به من علق الاقوام الغازية والقرون المظلمة ، ومحن الفكر التسليم التي لا تطاق .

اثر العزلة عن روح الحضارة العربية

وما ان اطل القرن التاسع عشر حتى استفاق العرب على هدير مدافع نابليون في معركة الاهرام ، واستبانت للعرب خرافة قوة السلطنة العلمية امام جحافل الغرب الغازية ، فلما رد الغرب على اعقابه ممثلا في القنصل الشاب نابليون ، وضحت للعرب طريق الخلاص . ولكن ماذا بقي لهم من معين هذا الخلاص ؟

قد يعيب الزمان امة من الامم بكل شيء ، ولكن هذه الامة تنتصر ذات يوم ، اذا بقي فيها وجدانها القومي سليما ، وتمثلت لها صورة واضحة المعالم عن كيانها الفكري .. الذي هو روح هذه الامة وسر بقائها . ولقد كانت الامة العربية ذات وجدان قومي سليم يعتمد على عاملين : العروبة، واللغة العربية . ففي عامل العروبة ، حفاظ لها من الانقراض امام حركة التاريخ المستمرة . وفي عامل اللغة العربية يكمن سر العظمة العربية وسر بقاء الوجود العربي وسر تماسك الشخصية العربية : مكانا وزمانا واحساسا بالوجود .. وفرضا لهذا الوجود على العالم . ولقد كان تاثير العزلة عن روح الحضارة العربية « العروبة ـ اللغة العربية » بالغ الضرر في حاضر الامة العربية ومستقبلها . اذ ان الاستسلام الى عامل الدين جعل مهادنة الاتراك المسلمين وبالا على المسلمين والعرب اجمعين . وتسلط الاتراك السياسي واعتماد اللغة التركية لغة رسمية ـ ولو كتبت بأحرف عربية ـ قيد من تطور اللغة العربية طيلة اربعة قرون .. وبالتالي قيد التفكير العربي نفسه والوجدان العربي نفسه عن التفاعل في الحياة العربية الواحدة والمجتمع العربي الواحد . فاصاب العرب ما يصيب الارض المروية التي انقطعت عنها الماء ، فتشققت .. وبانت مقسمة من داخلها ، مجزأة الى قطع متباعدة او متقاربة ، لا تنبت زرعا الا اذا عاودها الري ، وتعهدتها الايدي الامينة النظيفة .

التلاقي مع الحضارة الغربية ومداه

وكان لا بد للحضارة الغربية بعد ان اكتملت في ديارها طيلة ثلاثة قرون ، ان تخرج من حدودها : المكانية والنفسية لتلتقي بأمم الارض قاطبة . ولقد تم هذا التلاقي عن طريقين ، اولهما ان العرب ، التقوا بالحضارة الغربية عن طريق الاتراك . وكان الاتراك ياخذون من الحضارة الغربية ما يلائم وضعهم الاجتماعي فلا يتغير ، ونضالهم السياسي فلا

(١) يراجع من الاداب (١٩٥٧) : « العروبة والمذاهب المعاصرة ـ العدد السادس » ـ و « الثورة بين النظرية والواقع ـ العدد التاسع » و« مرض القيادة ـ العدد الحادي عشر » .

ويراجع من الاداب (١٩٥٨) : «مرض السيادة القومية ـ العدد الخامس»

يزول ، وتسلطهم على الامم الاخرى فلا تنفض هذه الامم عنها نير ظلمهم وعبوديتهم . اما وقد بلغت النهضة في اوروبا اوجها وبدأت تنتفض الشعوب على نظامها القديم ، ممثلة في فرنسا الثورة ، فقد امتد نطاق هذه الانتفاضية الثورية حتى شمل شرقنا العربي ، نتيجة لتعبير النهضة الاوروبية عن نفسها واتماما للنهج الاستعماري في استعباد الشعوب الذي بدأ منذ القرن السادس عشر . فلما جاء الغزو الفرنسي لمصر اثـار العرب ـ دون قصد مباشر منه ـ بعد ان اثارتهم حضارة الغرب عن طريق الاتراك . وكائنا ما كان غرض نابليون من غزو مصر وكائنا ما كان غرض محمد علي ،من الانتفاضة على حكم الاتراك والسعي لمحاربتهم في مصر وبلاد الشام وطردهم من هذه البلاد ، ودخول المسالة الشرقية بـاب التاريخ آنذاك ، فقد تولد هاجس جديد من هواجس الاحلام في الانتفاضة على استعمار القرون ، واعادة مجد هذه المنطقة العربية ، ولكن بايـدي ابنائها انفسهم ... لا بايدي الولاة .. وولاة الولاة من التابعين .

على ان هذه اليقظة القومية ان راودت باطيافها خيال الامة العربية في القرن التاسع عشر ، فقد انطفات فجاة بسبب اليقظة الرجعية ان صح التعبير في تركيا والميل للحكم المستبد ، مضافا الى ذلك مهادنـة تركيا للدول المستعمرة ، فرنسا ، انكلترا ، المانيا ، ضد روسيا القيصرية، فكان ان تسرب من جراء هذه المهادنة الغرب المستعمر الى ديارنا فعرفها وخبر كل ما فيها : الشعب ، الحضارة ، التراث ، الاثار ، وجـاءت اضطرابات ـ ١٨٦٠ ـ في لبنان مصحوبة بامتيازات خاصة لجبل لبنان ، وكان للغرب ما اراده من تسلطه على الثقافة بارسالياته ومدارســـه وكلياته ، مما ادى الى فتح باب القضاء على الفكر العربي على مصراعيه ، وتجزئة خصائصه الموضوعية ومقوماته الحضارية ، لتسهل محاربة هذه الخصائص والمقومات منفردة بعضها عن بعض .

الاستعمار وسياسة السيطرة

عندما تعلم العرب لغة اليونان في عصر المأمون ليترجموا روائع الفكـر اليوناني الى العربية ، لم يكونوا كالعرب الذين تعلموا الفرنسية او الانجليزية في ظل الحكم التركي وسيطرة الفكر الغربي على وجدانهم القومي وحسهم الاجتماعي . واذا كان الروس اليوم يدرسون اللغة الانجليزية في ديارهم ، وكذلك قد يفعل الانجليز ، فانهم لا يشعرون بعقدة النقص التي يشعر بها كل انسان عندما لا يجد امامه من سبيـل للثقافة سوى اتقان لغة هذا السيد او ذاك . انها ستطلعه على الجديد ، ستصله بالحضارة ، ستفتح عينيه وقلبه ، ولكن لغة الام ان كانت غائبة عن قلبه وعينيه ، وعي الحياة بلغة ليست لغته ، وانساق هو والملايين معه، في تيار جديد ، قد يقلب كيانه رأسا على عقب ، فيما اذا نسي تاريخه القومي بالذات ، وتعلق بامجاد جديدة ، ما دام اهمال اللغة الام ،سيؤدي الى اهمال التاريخ القومي ، ويؤدي الى تسلط عشرات بل مئات مـن الجهلة لتاريخهم القومي ، على هذا التاريخ بالذات ليدونه باقتضـاب وتشويه وتحريف ، ولكنهم اذا تحدثوا عن تاريخ الغرب .. عن تاريخ لغات الامم التي حذقوها ، لم يتركوا ريشيليو ولا مازاران ، ولا لويـــس او نـابليون ، ولا حـرب الوردتين اوكروميل ، وكـــل امجـاد فتـــح الهند واستعمار افريقيا ، وتسلط الحضارة الغربية على رقاب الملايين باسم صفاء العنصر ورقي الفكر ونقاء السلالة .

ولقد كان الاستعمار ذكيا فوجد ان خير وسيلة للقضاء على العروبة : لغة وتاريخا ، ان ينشر ثقافته ويحارب الثقافة العربية من حيث هـي وجدان حي وروح فاعلة ، وشخصية عربية متماسكةالجوانب . وانيجتهد في التنقيب عن كنوز هذا الشرق واستهواء الاجيال بحضارات قديمـة واعتبارها بداية لتطور هذه الشعوب وقطع مرحلة التطور العربي الاصيل طيلة الف وخمسماية سنة ، وحصرها في صحراء محدودة لا تنبت امجادا ولا حضارات .. حتى اذا اشرق القرن العشرون ، وقامت الحرب العالمية الاولى ، كان نصف العالم العربي قد آل الى قبضة المستعمرين بعد ان آل اليهم نصفه الاول خلال القرن التاسع عشر ، من امارات الخليج في الجنوبي العربي ، الى مصر .. الى السودان ، فالمغرب باكمله . وبدأت السياسة الاستعمارية تنفذ خطتها ضد الامة العربية ، ضد المجتمع العربي للقضاء على اسباب نهضته الواعية فلا يجدها ذات يوم .

السيطرة على الثقافة وسياسة الانحراف

سيطر الاستعمار على الثقافة في لبنان ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر . وعلى مصر بعيد توطيد حكمه في وادي النيل . وفي اكثر الاقطار العربية ابتداء من اخضاع هذه الاقطار للسيادة الاجنبية منـذ احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ .. حتى الحرب العالمية الاولى، وادخال العالم العربي في التبعية الاستعمارية : السياسة الاقتصادية ، والفكرية ، وهي توأم كل تطور اجتماعي صحيح . وكان الهدف من ذلك كله : محاربة اللغة العربية ، وبالتالي محاربة امجاد الامة العربية والتي لا يمكن لها ان تعرف الا باللغة العربية لادامة التماسك العام لتطور الاحداث والزمان مـن خلال حياة الاجيال الصاعدة . بالاضافة الى محو تاريخ العرب القومي في

ـ البقية على الصفحة ٦٢ ـ

المراسلة - دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر بيروت - شارع سوريا - ص.ب ١٣٩٠

التطور الاجتماعي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٨ ـ

لبنان ، والفرعونية في مصر ،والبربرية في المغرب ، والاشورية والكلدانية والبابلية ما بين سوريا والعراق ، وتصوير العرب بصورة اهتزت في يد المطور لحياة الشعوب وباني حضارات الامم . وكان القصد من ذلك كله ، فصم عرى الوحدة وتمزيق العالم العربي الى شعوب مختلفة الاصول والاجناس ، تتكلم اللهجة العربية بالعامية وبقليل من الفصحى الى جانب فخارها بحضارتها السالفة ، واتقانها اللغات العادية عليها حتى يتنافى زمان نرى فيه ان طلابا تطردهم جامعاتهم اذا استنكروا عدوان دول هذه الجامعات الاجنبية على اخوانهم في الاقطار العربية الاخرى ، او يطردون اذا ارادوا تأكيد اللغة العربية في وطنهم وترك اللغات الاجنبية للتثقيف العام الذي لا يتعارض مع كرامة الامة ولا كرامة اللغة التي لم تعجز بعد ، عن نقل خواطر روسو في السيادة ، ولا مشاعر لامارتين في الغرام !!

واقع العرب الاجتماعي

كان واقع العرب الاجتماعي مفككا . فالفقر المدقع الى جانب الغنى الباذخ وتسلط فئات معدودة على رزق الالوف من ابناء الشعب وانتشار الجهل والمرض ، وقلة الاخذ بالثقافة العصرية ليحيا المجتمع العربي يومه ، وبالثقافة القومية ليصل حلقة الماضي بالحاضر والمستقبل . والى جانب خضوع المجتمع للاستعمار ، وتآمر اكثر الفئات المتصدية لقيادته عليه ، كان هناك خضوع لاكثر ما جاءبه الاستعمار من قيم ومثل ،الامر الذي دفع الوجود العربي الى التدهور المادي والمعنوي ، ولولا تماسك فئات الشعب وتساندها ضد الاستعمار وضد اعوانه ، ضد المحو القومي والمحو الفكري ، لما كان المجتمع العربي اليوم غير قطع لا لون فيها سوى الوان السادة المستعمرين ، ولا لغة فيها الا لغاتهم ، ولكان ماضي العروبة كله قد زال وحل محله حاضر قذر من صنع اللصوص ومخترعي الحضارات .

واذا نظرنا لخصائص تلك الفترة التي مر بها المجتمع العربي ، وجدنا متناقضات جمة . فالمجتمع وقد اخذ بالحضارة الغربية ، اخذ يتطور بلا تنظيم ولا تعقيد . ففي القاعدة نجد الالة ومشاكلها الى جانب النظم القديمة في حراثة الارض وعلاقة المالك بالعامل الزراعي . وبتنا ونحن في القرن العشرين نمر بمشاكل مرت بها اوروبا منذ مئة عام عند بدء نهضتها الاقتصادية والاجتماعية : هجرة الريف الى المدن . مشاكل الطبقة العاملة . مأساة الضمير لدى الطبقة المتوسطة . عقدة الثقافة النظرية وانعزالها عن حياة الشعب . تكون الطبقة البورجوازية . بدء نمو راس المال على حساب ظلم القوى العاملة في خدمة الجهد القومي . وتنكب الدولة عن واجبها في التدخل للحد من هذا الاستغلال باساليب اشتراكية كما حدث في اكثر بلدان اوروبا ، باتخاذها الضرائب التصاعدية على الارباح ، واقرار الضمان الاجتماعي ، والتأمين ضد البطالة والعجز والشيخوخة وطوارىء العمل . وكانت اكبر الخرافات هي خرافة الديمقراطية ، في مجتمع لم يتحقق فيه اي اثر لمكتسبات التطور والمعاناة السياسية كما حدث في اوروبا ، بل انتقل المجتمع من قرون الاستعمار التركي الى نظام جديد .. بل اجد مما هو عليه الحال في اوروبا نفسها : انتخاب كل من هو قادر على امتصاص دماء الشعب وتحكيمه في رقاب الشعب ، وجعله وذراريه من بعده وصيا على الشعب : انها الوراثة الديمقراطية . وراثة العصبية . ووراثة المال والعقار . وهذه هي مقومات الحكم السعيد في شرقنا التعس . وقد بات من جراء هذا الفساد الاجتماعي كله ان اضحت الامة العربية من المحيط الى الخليج ، موزعة بين تحكم الدول الاستعمارية فيها ، وتحكم اعوان الاستعمار وعبيده واستنزافهم خيراتها وجهدها ، وشيوع وسائل الحضارة الحديثة في الصناعة والزراعة والتجارة ، وبقاء كثافة في الجهل والفقر والمرض ، وباتت الذات العربية من كثرة ما دخلها من بدع الحضارة مع اصيلها ، اشبه بعلبة المطبخ التي تتخمر فيها نفايات الاطعمة فالتقى على صعيد الحياة العربية : عادات قبلية ، ومجتمع رعوي زراعي ، وآلة تثير مشاكل القرن التاسع ، وديمقراطية من نتاج القرن العشرين ، وفقرومرض وجهل، وتحكم الاقلية في رقاب الاكثرية ، واستعمار يحف به اعوانه من الخونة والدخلاء والمخرفين ، ومعركة تجهيل واسعة النطاق ، ولغة عربية تقطع ما بينها وبين الماضي كل صلات الاستمساء من النبع الصيل ، وتزييف للتاريخ القومي الى جانب احياء تراث حضارات منقرضة لاروح فيها ولا قوام ـ والشعب العربي يستعمل وقيدا في كل حرب ، وفي كل ثورة ضد الاستعمار وضد اعوانه ، وفي وسط هذا البحران الطامي من عدوان المذاهب المعاصرة على الفكر القومي في ابان عزلته عن تاريخه الحي وتجزؤ شخصيته القومية كان لا بد للعرب ان يجدوا الطريق ذات يوم بعد ان تآلفت عوامل فساد المجتمع ، وآذنت بانهياره كله ما عدا الاصيل فيه .

عوامل فساد المجتمع القديم

كان العالم العربي رغم تباعد اقطاره ، واختلاف مناحي التطور فيها ، يشكو امراضا واحدة ويحتاج الى علاجات واحدة . فقد كان التسلط الاجنبي عليه ثقيلا ويحتاج الى ازالته ليستطيع التصرف والانطلاق . والاستعمار لم يبق وحده ، لقد اضحى له الاعوان والانصار يحركهم كما يريد ، وهم ليسوا اعوانا سياسيين فحسب ، فلقد وجد فئات تنصره في الراي والاتجاه ، بحيث يمكن اعتبارها منفصلة عن تاريخ الامة وعن مجموعها . ولكي يكون المجتمع العربي الحديث سيد نفسه ، وجب ان يزول الاستعمار ويقضي على عوامل الانفصال في داخل المجتمع العربي نفسه ، لتتحرر سيادته من الحماية والوصاية الاستعمارية .وكان الى جانب مرض السيادة ـ وهو الاستعمار ـ مرض القيادة الفكرية والسياسية . فالقيادة السياسية كانت منعزلة عن الشعب غير مؤمنة به همها الوحيد التحالف مع الاجنبي لضرب الشعب ، وقمع حركاته الحرة المتوالية . وكانت القيادة الفكرية منعزلة عن الشعب ، متخلية عن مركزها القيادي والتوجيهي . لانها بثقافتها الانعزالية عن روح الشعب وعن تاريخه الصحيح وخطر سه يرنهضته القومية لتحقيق وحدته وحريته ونظامه الاجتماء يالعامل قد وجدت نفسها ممتلئة بالمعلومات والمعادلات والاساليب الكلامية ، وهي كلها لا تعادل بعض الايمان بحقيقة الشعب وحقيقة تاريخه المستمر عبر الزمان ، الذي نجده في صدر اي انسان عادي من عامة الشعب . والقيادة الفكرية معزولة عن الشعب، بوح يعاملين . فاما الاول فهو انعزال بعضها عن الشعب وعن تاريخه وتثقفها بثقافة ليس لها طابع خاص . ثقافة غير قومية . ثقافة نظرية تصلح لكل وطن ، ولكل زمان . واما العامل الثاني فان بعض المثقفين

فد عجزوا عن رؤية ملامح الاصالة في شخصية الامة العربية وفي مدلول هذه الشخصية الفكري والروحي والاجتماعي ومطاوعتها لتقدم العصر ، فارادوا ان يذيبوا هذا الكيان الذي لم يتم بعد ، ولم يتوحد، ولم يتخلص من الاستعمار ، ارادوا ان يذيبوه في بوتقة انجلز وماركس ، متناسين عوامل التطور الصحيحة وهي ان المجتمع العربي لا يمكن ان يخط سيره الاجتماعي قبل التحرر من الاستعمار ، وقبل الوحدة الشاملة، الا اذا كانوا لا يؤمنون كما يؤمن العرب جميعا ، ان المجتمع العربي الواحد هو مجتمع العرب من المحيط الى الخليج ، وليس مجتمع هذه الاقاليم الصغيرة المتناثرة . وان طبيعة التطور الاجتماعي تفرض نوعية المعركة التي ينبغي على العرب ان يخوضوها وهي معركة سياسية للتحرر من الاستعمار واعوان الاستعمار . ومعركة قومية لتحقيق الوحدة. ثم تبدأ معركةتطور المجتمع العربي نحو العدالةالاجتماعية الشاملة التي لا تمس حريته السياسية ولا وحدته القومية ، وتاريخه الاصيل . والىجانبه مرض السيادة القومية ، ومرض القيادة بنوعيها السياسية والفكرية كان المجتمع العربي يعاني مرض انظمة الحكم بل مرض الديمقراطية . ان الديموقراطية مفهوم للحكم يقوم على نكران اي اثر للطائفية والعصبية العائليةاو القبلية. وكذلك كل تبعيةاقتصادية واجتماعية. ويوطد سلطان الدولة على اسس سليمة من انظمة النقابات والاحزاب والوعي الاجتماعي وانتشار الثقافة والكفاية الاقتصادية في الافراد ، ويعطي للحرية مفهوما واقعيا وعمليا ونظريا ، ينسجم مع اداء الواجب الوطني والقيام بعبء الجهد الفردي ، والمساهمة في الحياة العامة ضمن حدود المصلحة القومية والعمل الوطني العام . دون ان يكون وضع المجتمع سيئا من جميع الوجوه ، قليل الثقافة قليل التنظيم ، قليل الكفاية الضرورية ، فيه رواسب عديدة لمجتمعات قديمة ، مرت عليه قوافل الاستعمار فابادت الكثير من مقوماته القومية ، واضعفت ارادته وطموحه ووجدانه ، وانبتت الكثير من الفئات والعناصر الانهزامية والمستثمرة ، والتي تعتبر قوام مردود الحياةالاجتماعية المريضة ، حتى اذا جاءت الديمقراطية ، حملت هذا المردود السيء للحياة الاجتماعية الى مقاعد البرلمان والوزارة ، واضحى همها الوحيد توطيد اسباب البقاء لها ولمسببات رفد الحياة الاجتماعية بمزيد من السوء ، لدوام العز ، واطالة امد البهرجة والسلطان . واضحى لغوا ، كل تبجح بالعمل للوحدة العربية والحرية العربية ، وللمجتمع العربي الواحد ، في ظل مثل هذه الكيانات الهزيلة ، والحكومات الذليلة ، والفساد الذي عم القيادة بشقيها ، وشمل السيادة القومية من جراء التوجيه الاستعماري واساليبه في تقويض دعائم الوحدة العربية لدوام التجزئة، ودوام التبعية الاستعمارية الى الابد .

اهداف الثورة الصحيحة

ان الثورة الصحيحة ما كانت تمثل ردة فعل الوجدان القومي للامة . فما هي ردة فعل الوجدان القومي للامة العربية ؟ ان ردة الفعل تتمثل في عناصر عديدة . منها ان اللغة العربية وقفت اربعة قرون عن التطور ، فيجب ان تعاود تطورها ، ان تعاود حياتها الجديدة ، فلا تزاحمها في الترجمة عن خواطر الانسان العربي في ارضه العربية لغة ثانية ... كائنة ما كانت هذه اللغة . والوجدان القومي للامة العربية ليس ضد الثقافة العامة ولا ضد التزود بمعين العقل البشري العام . ولكنه ضد تفضيل اية لغة اخرى غير اللغة العربية من المحيطالى الخليج . فكما ان اللغة الفرنسية او الانجليزية او الروسية او الصينية ـ سيدة في ارضها ـ فكذلك شان العربية . وهذا ما يجب ان يكون . وكل عدوان على اللغة العربية في اية بقعة عربية عدوان على وجدان الامة العربية . عدوان على حياتها ونكران لوجودها . ان اللغة العربية روح الامة العربية المترددة في كيانها كله .

ومنها ان الامة العربية واقعة تحت عدوان الامم المستعمرة . ان سيادتها معطلة . هناك من يتكلم باسمها . هناك من يريد ان يداوم استغلال خيراتها وكنوزها . ويحتفظ لنفسه بحق العدوان عليها وليس الدفاع عنها . ان الاستعمار اول الاعداء واخرهم . ولا يمكن للامة العربية ان تعود سيرتها الاولى ، لتاخذ من العالم وتعطيه ، ما دام الاستعمار معطلا سيادتها . ان التحرر من الاستعمار ضرورية قومية . انه الخطوة الاولى نحو الحرية في الخارج والداخل .

ومنها ، ان القيادة السياسية والفكرية في عزلة عن روح الشعب . والقيادة في العالم العربي نتيجة لمردود اقتصادي مضطرب ، او طبقي منحرف ، بل القيادة الفكرية التي اتخمتها الثقافة المجردة من طابع الزمان والمكان وسير التاريخ القومي . وكل انحراف في اتجاهات القيادة الفكرية المذهبية او الانهزامية منها ، لتعطيل جوهر الابداع في العقل العربي وما يمكن ان يقدمه لحاضر الامة ، ويوطده من اسس لنهضتها وتطورها . ولا قيادة حقة ، سياسية فكرية ، ما لم يقض على كل مقومات مثل هذه القيادات المريضة ، بتعديل مضمون الثقافة وجعله قوميا بحتا ، وتوجيهه ، وضبط المشارب التي تمد الاجيال الصاعدة بمعين الفكر الحديث واتاحة الفرص لنمو المجتمع في جو من الحرية والقومية والعدالة الاجتماعية والتربية العربية السليمة .

ومنها ، ان تعميق مضمون الحضارات القديمة في ذاكرة الشعب العربي ، من جراء السماح للدعايات المسمومة والتوجيه الخاطىء ، ببث افكارها المريضة ، قد يؤدي الى ربط مضمون هذه الحضارات الفكري ومدلوله الحضاري ، بواقع المجتمع المادي الذي تعيشه هذه الاقطار المتباعدة ، بفضل تحالف الاستعمار مع الطبقة الرجعية الحاكمة . وبدعة الحضارة القديمة هذه ، لا يقصد منها غير قطع حقيقة الامة عن التاريخ الصحيح الخاص بها . ووصله بأفكار غفا عليها الدهر ولم يستيقظ بعد . وهو برغم انها لا تمثل لغة متداولة او تاريخا قائما ، او عادات متداولة او قيما اجتماعية مرعية ، او حتى شعبا حيا يتبناها ويدافع عنها ، فان سياسة الاغراق الرامية الى فصم عرى الترابط التاريخي بين ماضينا وحاضرنا ، تريد ان تمضي في خطتها المزدوجة : محاربة اللغة العربية واحياء ماضي الحضارات الغربية معا، مما يؤدي بالتبعية الىتنكر من يشب للغته الام وتاريخه الصحيح،وايمانه بما يقدم له من زاد الفكر والروح . ولذلك فان رفع راية النضال ضد عدوى التجزئة ، ونصرة اللغة العربية بصفتها الترجمان الوحيد عن الوجدان القومي والتاريخ القومي ، والسير في ركاب شعار : (وحدة اللغة ووحدة التاريخ) كفيل بقبر انصار التجزئة ، والانتصار على اللغات العادية ، والحضارات الشمعية القائمة في بعض المتاحف ، وتوكيد لوجدان الامة وما ينعكس عن هذا الوجدان من احاسيس ومشاعر تربط الارض بالشعبعبر الماضي والحاضر والمستقبل في عروة وثقى لا انفصام لها .

ومنها ان العالم العربي يشكل وحدة ، وليس كيانات مبعثرة . ودليل هذه الوحدة : وحدة اللغة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة مصائب الماضي وانتصاراته ، ووحدة الطريق عبر المستقبل . وفي حركة ثورية لا تضع في اعتبارها ازالة الاستعمار واعوانه ، والاطاحة بالقيادة السياسية

المنطقة عن طريق الدعاية لبعث حضارات زائفة على مثال : الفينيقية في المزيفة وتقويم انحراف القيادة الفكرية لتلتصق بالشعب وتاريخه ومعاركه النضالية ، وتصحيح مفهوم الديمقراطية بتمكين الشعب من اسباب الرقي والعدالة الاجتماعية والحرية البناءة ، والسعي كل السعي نحو الوحدة الشاملة ، وخوض المعركة السياسية للخلاص من الاستعمار اولا ، والمعركة القومية لتحقيق الوحدة ثانيا ، انما هي حركة انحرافية لا تمثل وجدان الامة العربية ولا تؤمن بماضي الامة النبيل ولا مستقبلها العظيم .

ومنها ان الروح العربية روح بناءة تؤمن بالحرية والسلام . فهي ضد الحروب وضد التحلفات ، ايا كان مصدرها او نوعها . ولكنها لا تساوم على حريتها وكيانها وشخصيتها المستقلة اذا كانت الحرب طريقها لتوكيد الحرية واقرار السلام .

مضمون القومية العربية

ان هذه العناصر الاساسية الهادفة الى احياء الوجدان القومي باعلاء شان اللغة العربية والتاريخ القومي ، والمحافظة على الشخصية العربية فلا تنجزا من جراء عدوان الحضارات والدعايات الانحرافية والمذاهب المادية ، عليها ، وتحقيق سيادة الامة العربية بطرد الاستعمار ورسم الطريق للقيادة السياسية المعبرة عن روح الامة وحاجاتها واهدافها المثلى واتاحة الفرص لان تكون القيادة الفكرية موجهة للمجتمع حريصة على اشادة بنياننا الفكري من واقع ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا كسلسلة لا انفصام لها ، وتقليل الفروق بين الطبقات وفق روح العدالة وتكافؤ الفرص واشاعة المناهج الاشتراكية ، لخلق مجتمع تقدمي اشتراكي النزعة والاسلوب ، ومحاربة عدوان التجزئة ومحو الكيانات الهزيلة القائمة ، وخط تطور المجتمع العربي نحو الوحدة الشاملة والقيادة الواحدة والتجربة الاجتماعية الكبرى ، ذلك كله ما نعبر عنه عندما نقول : (القومية العربية) عقيدة كل عربي مخلص من المحيط الى الخليج . وكل محاولة لتعطيل هذا النهج سواء بالانحراف عن معركة الوحدة الى التجزئة ، او صبغ مضمون القومية العربية بصبغة تخرجها عن هذا المضمون ولونه الصريح، لما تأباه طبيعة المعركة النضالية التي ينبغي على العرب ان يكرسوا كافة جهودهم لتحررهم من الاستعمار ، وخوض معركة الوحدة الشاملة ،ليجد المجتمع العربي الواحد من المحيط الى الخليج سبيله في التعبير عن الذات العربية واتخاذه الوضع الاجتماعي الذي يفرضه واقعه الداخلي وحده .

ثورة مصر العربية عام ١٩٥٢

كان العرب قبل ثورة مصر العربية عام ١٩٥٢ يؤمنون بافكار عديدة ، كلها تتفق ومضمون القومية العربية . ولكن الذي ينقصهم كان بدء تنفيذ هذه الافكار في دنيا الحياة والناس . كانوا بحاجة الى من يمزق ستار الديمقراطية الكاذب ويكشف معدن الحياة الحزبية الرخيصة . وكانوا بحاجة الى من يشنها حربا صريحة على الاستعمار واعوانه فيداخل البلاد وخارجها ، ليؤكد السيادة القومية . وكانوا بحاجة الى من يوقف القيادة السياسية المريضة عند حدها ويوجه القيادة الفكرية في الطريق المؤدية الى بعث تاريخنا القومي العربي الاصيل وتثقيف الجيل بثقافة عربية خالصة ، ويمنع انحراف الوجدان القومي نحو اليمين واليسار . وكانوا بحاجة الى من يخوض معركة الوحدة ، ويعلنها حربا صريحة على التجزئة والكيانات المبعثرة ، ويدخل معركة المصير الواحد والقيادة الواحدة ، والمجتمع الواحد . فكانت ثورة مصر العربية في تموز عام ١٩٥٢ .. ثورة اضحت بعد ست سنوات مجندة في خدمة القومية العربية ومضمونها في السياسة والحكم ، في بعث روح التطور الاجتماعي الجديد في حياة المجتمع العربي . وكان هذا التلاقي بين مصر وسوريا ، دليلا على ان العروبة اصالة ، والقومية العربية رسالة ، والوحدة مخاض الحرية والبناء في عالم جديد يشرق على العرب من المحيط الى الخليج .وكان من هذا التلاقي بين الاقليمين ، جمهورية عربية متحدة ، هي اشبه باللؤلؤة الواحدة في عنق العروبة الخالي من اللالىء منذ خمسة قرون او اكثر . جمهورية عربية ليست رجعية لانها تؤمن بالتطور ، وتؤمن ببعث القوى الدفينة في المجتمع وتفسح لها سبيل التطور نحو الاشتراكية والديمقراطية والتعاونية ، وترسم خط سير المجتمع في طريقه القومي الصحيح فلا ينحرف نحو اليمين ، حيث الاحلاف والرجعية والانخراط في حماة الاستعمار . ولا ينحرف ايضا نحو اليسار ، نحو تعطيل وجدانه القومي وتاخيره عن خوض معركة الوحدة الشاملة ، وتعطيل شخصيته العربية المبدعة وتشويه وجدانه القومي الاصيل . شعارها في ذلك حياد مادي عن الغرب ، ومذهبي عن الشرق ، دون ان تغلق نافذة الاخذ والعطاء مع العالم كله ، لمد الحياة العربية والفكر العربي بما يصدر عن حس سليم وطواعية حرة مبدعة .

علي بدور

حلب — من الاصدقاء

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

تلفون ٢٧٦٨٢ — ص.ب. ٦٥٦

قصائد عربية	سليمان العيسى
الاصول التاريخية	وثائق تنشر للمرة الاولى(مجلد٣)
بشارة صارجي	تأملات لبنانية
الدكتور اسد رستم	كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى (الجزء الاول)
جورج جرداق	علي وعصره (ج ٤)
الشيخ ابو عمر جعفر السراج	مصارع العشاق
الدكتور كمال الحاج	القومية ليست مرحلة
كارل ياسبرز	القنبلة الذرية ومصير الانسان
فوزي معلوف	على بساط الريح
واصف بارودي	هذا التاج
هنري لوفافر	كارل ماركس
انيس المقدسي	رسائل ابن الاثير
تقي الدين النبهاني	النظام الاقتصادي في الاسلام